

## مختصر ابن كثير

١ - بسم الله الرحمن الرحيم .

تفسير البسمة .

روي عن ابن عباس هما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه { بسم الله الرحمن الرحيم } ( رواه أبو داود بإسناد صحيح وأخرجه الحاكم في مستدركه ) .

وقد افتتح بها الصحابة كتاب الله ولهذا تستحب في أول كل قول وعمل لقوله عليه السلام : " كل أمر لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أخذ " فتستحب في أول الوضوء لقوله عليه السلام : " لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه " ( رواه أحمد وأصحاب السنن من روایة أبي هريرة مرفوعا ) وتستحب عند الذبيحة في مذهب الشافعی وأوجبها آخرون وتستحب عن الأكل لقوله عليه السلام : " قل : بسم الله وكل بيديك وكل مما يليك " ( رواه مسلم في قصة عمر بن أبي سلمة ربب النبي صلى الله عليه وسلم ) وتستحب عند الجماع لقوله عليه السلام : " لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فإنه أن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا " ( رواه الشیخان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ) .

والمتعلق بالباء في قوله ( بسم الله ) منهم من قدره باسم تقديره : باسم الله ابتدائي ومنهم من قدره بفعل تقديره : أبدأ باسم الله أو ابتدأت باسم الله وكلاهما صحيح فإن الفعل لا بد له من مصدر فلك أن تقدر الفعل ومصدره فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله تبركاً وتيمناً واستعانة على الإتمام والتقبل ويدل للأول قوله تعالى : { بسم الله مجريها ومرساها } ويدل للثاني في قوله تعالى : { اقرأ باسم ربك الذي خلق } .

و ( الله ) علم على الله تبارك وتعالى يقال إنه ( الأسم الأعظم ) لأنه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى : { هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم } الآيات فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات كما قال تعالى : { والله الأسماء الحسنى فادعوه بها } وقال تعالى : { قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى } وفي الصحيحين : " إن الله تسعه وتسعين اسماء مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنـة " ( رواه الشیخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ) .

وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى ولهذا لا يعرف له - في كلام العرب - اشتقاق فهو اسم جامد وقد نقله القرطبي عن جماعة من العلماء منهم ( الشافعی ) و ( الغزالی ) و (

إمام الحرمين ) وقيل : إنه مشتق من أله يأله إله وقد قرأ ابن عباس { ويذرك وإلاهتك } أي عبادتك وقيل : مشتق من قوله إذا تحير لأنه تعالى يحير في الفكر في حفائق صفاتك وقيل : مشتق من أله إلى فلان : أي سكنت إليه فالعقل لا تسكن إلا إلى ذكره والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره قال تعالى : { ألا بذكر الله تطمئن القلوب } وقد اختار الرازى أنه اسم غير مشتق البتة وهو قول الخليل وسيبوه وأكثر الأصوليين والفقهاء .

{ الرحمن الرحيم } أسمان مشتقات من الرحمة على وجه المبالغة و { رحمن } أشد مبالغة من { رحيم } وزعم بعضهم أنه غير مشتق قال القرطبي : والدليل على أنه مشتق ما روی في الحديث القدسی : " أنا الرحمن خلقت الرحم وشقت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعه " ( أخرجه الترمذی وصححه عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم ) قال القرطبي : وهذا نص في الإشتقاء فلا معنى للمخالف والشقاوة وإنكار العرب لاسم { الرحمن } لجهلهم بما وجب له وبناء فعلان ليس كفعيل فإن ( فعلان ) لا يقع إلا على مبالغة الفعل نحو قوله ( رجل غضبان ) للممتنى غضبا و ( فعيل ) قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول . قال ابن جریر : { الرحمن } لجميع الخلق { الرحيم } بالمؤمنين ولهذا قال تعالى { الرحمن على العرش استوى } فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعلم جميع خلقه برحمته وقال : { وكان بالمؤمنين رحيم } فخصهم باسمه الرحيم . فدل على أن { الرحمن } أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه و { الرحيم } خاصة بالمؤمنين واسمه تعالى { الرحمن } خاص لم يسم به غيره قال تعالى : { قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن } وقال تعالى : { أجعلنا من دون الرحمن آلة يعبدون } ؟ ولما تجرأ مسيلمة الكذاب وتسمى برحمن اليمامة كساه الله جلباب الكذب وشهر به فلا يقال إلا ( مسيلمة الكذاب ) فصار يضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضر والمدر . وقد زعم بعضهم أن الرحيم أشد مبالغة من الرحمن لأنه أكد به والمؤكد لا يكون إلا أقوى من المؤكد .

والجواب أن هذا ليس من باب التأكيد وإنما هو من باب النعت ولا يلزم ما ذكروه فإن قيل : فإذا كان الرحمن أشد مبالغة فهلا اكتفى به عن الرحيم ؟ فقد قيل : إنه لما تسمى غيره بالرحمن جيء بلفظ الرحيم ليقطع الوهم بذلك فإنه لا يوصف ب { الرحمن الرحيم } إلا الله تعالى كذا رواه ابن جریر عن عطاء ووجهه بذلك والله أعلم .

والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره ومنها ما لا يسمى به غيره كاسم ( الله ) و ( الرحمن ) و ( الخالق ) و ( الرازق ) و نحو ذلك وأما ( الرحيم ) فإن الله وصف به غيره حيث قال في حق النبي : { بالمؤمنين رءوف رحيم } كما وصف غيره ببعض أسمائه فقال في حق

الإنسان : { فجعلناه سميعاً بصيراً }